

رئيس التحرير المسؤؤل
العميد منير عقيقي

الهوية الصعبة

لـ"فدرلة" صارت عصية في ظل التداخل الديموغرافي وتراكم المشتركات الوطنية. قد يكون من الاجدى العودة في هذه اللحظة المجنونة الى الفيلسوف توماس هوبز عن التعدد في اطار الوحدة.

يقول المؤرخ كمال صليبي في كتابه "بيت بمنازل كثيرة: الكيان اللبناني بين التصور والواقع": "اذا كان لأية مجموعة من البشر، في اي مكان، ان تخلق لنفسها شعورا بكونها جماعة سياسية، وان تحافظ عليه، فلا بد من ان تكون لها رؤىة موحدة لماضيها. وكثيرا ما يكون التاريخ المتصور كافيا لهذا الغرض في المجتمعات التي يسودها تضامن طبيعي، ومنها القبائل والعشائر التي تزعم لنفسها تحذرا من اجداد اسطوريين، وتكرّم ابطلا خياليين، فتعزز التلاحم بين العناصر التي تتكوّن منها القبيلة او العشيرة الواحدة".

قد يكون ما قدمه صليبي في هذه الرؤىة العميقة عام 1988، الكثير من الاسئلة والاجوبة في آن. الاسئلة والاجوبة كلاهما في حاجة الى جهد وطني مشترك لتجاوز الماضي البغيض الذي صنعناه بايدنا، لا بل ساعدنا من تدخل بشؤوننا في صنعته. لكن الاكيد هو ان الاسئلة المطروحة علينا هي من الصعوبة بمكان، اذا لم يكن هناك قرار بالعيش المشترك، وان لم يكن هناك تمسك بـ"لبنان الرسالة"، كما جاء في الارشاد الرسولي. في هذا السياق، تصح ايما صحة مقولة البطريك الراحل مار نصر الله بطرس صفير يوم قال ان "الموارنة خلقوا من اجل لبنان". الان مطلوب من الجميع ان يدركوا فعلا، ولو لمرة واحدة، انهم خلقوا من اجل لبنان ولم يخلق لبنان من اجلهم وحدهم. قبل هذا وبعده ستبقى هوية لبنان: هوية صعبة.

الغربة التي تغمر الهوية اللبنانية تحيل المرء الى سبب استعصائها الى هذا الحد.

فكلما مر لبنان بازمة سياسية، او اخذته الرياح الداخلية والخارجية الى حروب واحداث، اول ما يحضر هو سؤال الهوية.

هناك من ينادي بـ"الاكبر" وغيره من ينادي بـ"الاصغر". كل هذا سببه على الدوام انعدام الولاء الوطني لصالح هويات دينية او طائفية او مذهبية. يحصل هذا في حين ان ما يواجهه البلد انما يواجه اللبنانيين عمومهم شاؤوا ذلك ام ابوا.

في كل بلدان العالم، حتى في الحضارات المتنوعة، كانت مجموعة من الصفات المشتركة هي ما تميز الانتماء الوطني لكتلة من الاشخاص عن غيرهم. الهوية الوطنية على معناها المجرد، تخص ارتباط كل فرد بوطنه. لكن عناصر اي هوية ثابتة تتشكل من جغرافية الدولة، والتاريخ الواحد في العيش، اضافة الى العوامل التقليدية كالنظام الاقتصادي والحقوق والواجبات، سواء كانت فردية ام جماعية.

ما يزيد من القلق على الهوية الوطنية اللبنانية هو الهجرة التي تنطوي على هجرة الاشخاص والعقول، وهذا ما يشهده لبنان حاليا. فالازمة العامة ما نجحت في توحيد اللبنانيين في ايجاد الحلول للنهوض من الانهيار المرّيع. والكل يتصرف على انها ازمة فردية يواجهها كل على هواه.

ما لا يمكن القفز فوقه في موضوع الهوية الوطنية، هو نظرة كل جماعة وطائفة ومذهب الى ذواتهم، والى دورهم في هذا الكيان. ناهيك بنظرة هؤلاء الى بعضهم البعض على اساس "اساطير التأسيس" بين لبنانيين: صغير وكبير. هذه النظرة نقلت اللبنانيين من حرب الى اخرى بلا هوادة. كلهم لم يتعلموا ولم يستخلصوا الدروس والعبر، فكانوا يعيدون التاريخ بشكل مأساوي ورهيب. لقد صار مستحيلا العودة الى تاريخ غابر. والاكثر استحالة هو النداءات المتوزعة التي تصدر من هنا وهناك عن نزوع

الى العدد المقبل